



ويتشقق هواها للمرة الأولى. ووسط فرحته العارمة، قام بقص جزء من السلك الحدودي، ولدى سؤاله عن السبب، ردّ باسم: «هذا جزء من التحضيرات لعملية أسر محتملة».

الانتصار العربي الأول منذ نكبة فلسطين أتى مهوراً بتوقيع مغنية، حينئذ سقطت كلّ بيانات الاستنكار والتخاذل. وشهد العالم كله بيارق التحرير التي زرعتها شباب من لبنان عاهدوا رفاق لهم على النار لجراحهم ولدموع أبناء الشهداء وصبر أمهاتهم.

لم يكن لبنان الساحة الوحيدة بالنسبة إليه، فالساحات كلها مرتبطة بالقضية المركزية. وصلت بصمته إلى العراق في مواجهة الاحتلال الأميركي. وإلى جانب العمليات العسكرية، أولى اهتماماً بالمعلومات كونها حرباً من نوع مختلف، فسعى إلى كسر احتكار الغرب للمعلومات، خصوصاً الأمنية منها، فأسس وحدة متخصصة بالعمل على رصد الدراسات الأمنية والتقارير البحثية والإعلامية الغربية والعبرية وترجمتها.

نصر أيار لم يكن نهاية المطاف، إذ إن مغنية بدأ يتحضر للحرب المقبلة معلناً التعبئة العامة من خلال تدريب الطاقم البشري وتطويره على المستويات: العسكري، الأمني، الثقافي والروحي. كما عمل على تطوير الأسلحة التي تمتلكها المقاومة وأثمرت جهودها مفاجآت في تموز 2006، إبان العدوان الصهيوني على لبنان وكان تدمير البارجة «ساعرة 5»، أولى المفاجآت، وصولاً إلى مجزرة الميركافا في وادي الحجير. كما عمد على تأسيس البنية التحتية اللازمة من حفر للأنفاق وتطوير شبكة الاتصالات والمعلوماتية... ودأب على زيارة مواقع عمل المجاهدين ليسأل عن احتياجاتهم الخاصة، وكان يدون ملاحظاته على دفتر صغير، وجميعهم عرفوه باسم «الحاج رضوان». وأتى انتصار تموز 2006 ليكرس القائد عماد مغنية قائد الانتصارين بحق، بحسب تعبير أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله.

كونه يعتبر أنّ إزالة «إسرائيل» ليست أمراً غير واقعي، فإلى جانب القناعات الدينية، «لدينا الكثير من الأسباب العلمية التي تدفعنا إلى الاقتناع أكثر بأنّ زوال إسرائيل مسألة مرتبطة بما نفعله نحن، أهل فلسطين داخلها وفي محيطها وفي العالم العربي».

استشهاد الموسوي... والحساب المفتوح

الضربة المؤلمة التي تلقاها حزب الله يوم اغتيال أمينه العام السيد عباس الموسوي، أتاحت لصواريخ «كاتيوشا» ظهورها الأول رداً على عملية الاغتيال.. ولم يرض مغنية أن تنكسر المقاومة، وفتح حساباً جديداً بين الكيان الغاصب وحزب الله ليخوضه مغنية بشخصه وعقله وقلبه، على امتداد العالم بأسره. تلك الحرب المفتوحة مع الكيان الصهيوني تجاوزت حدود الوطن وصارت المعادلة: «إن قصف المناطق والقرى الأملّة بالسكان، سيقلّي الرد عليه بالمثل».

منذ ذلك الوقت، أضحت التجمعات الصهيونية هدفاً مشروعاً لصواريخ «كاتيوشا». وقد شهد عام 1991 مواجهات يومية ماثلة، كما تخلل تلك الفترة نشاط لافت في عمليات القوى الفلسطينية، خصوصاً الإسلامية منها. وقد كان ذلك ثمرة التنسيق مع الجهات الفلسطينية بهدف توحيد الجبهات والجهود الرامية إلى دحر العدو. وهو ما سعى إليه القائد عماد مغنية، لأنه آمن أنّ العدو واحد، وعلى البندقية أن تكون... واحدة.

صار مغنية منذ استشهاد الموسوي مسؤولاً عن أمن المقاومة، وفي ذلك تحدّ لم يرفضه. وفي المقابل وجد العدو نفسه في مواجهة العقل والروح القادرين على تهديد وجوده.

وأدت عملية تصفية الحساب، «حرب الأيام السبعة، تموز 1993». حينئذ تمكن مغنية من فرض التوازن من خلال الضربات الحاسمة ليثمر تفاهماً شفهياً عُرف باسم «تفاهم الكاتيوشا» لحفظ حق المقاومة في القيام بعمليات ضد مواقع الجيش الصهيوني، ومنع كيان العدو من استهداف المواقع المدنية خلال العمليات العسكرية. شكّلت هذه المعركة التي خاضها الحاج عماد وإخوانه المجاهدون الخطوة الأولى في سبيل إضعاف التفوق الصهيوني. تكرر مشهد التوازن عام 1996، حيث شنّ العدو عدوانه على لبنان ذات نيسان تحت عنوان «عنايق الغضب»، لكنه واجه المصير ذاته. فكان تفاهم نيسان 1996 مكتوباً هذه المرة.

زمن الانتصارات

توالى العمليات النوعية، وبدأ العدو يعمل على تعداد الخسائر. وكان مصرع قائد القوات الصهيونية في الشريط المحتل الجنرال أيزن غيرنشتاين، صاحب أرفع رتبة عسكرية في المظلة، ومساعدته وسائقه والمراسل العسكري للإذاعة العبرية، صفة مدوية تردّد صداها في الكيان الصهيوني.

كان غيرنشتاين (35 سنة) «الرجل الأسطورة» لدى الجيش الصهيوني، ومن أبرز المعارضين لانسحاب جيش الاحتلال من جنوب لبنان! وباغتياه، أثبت عماد مغنية مجدداً أنّه الأقدر، وبلا منازع، على الإسماك بمجريات الصراع.

وأشرق فجر التحرير في آيار 2000. كان الصهاينة يلملمون خبيثتهم ويخرجون من القرى الجنوبية على إيقاع فرحة الجنوبيين بنزع الأسلاك الشائكة وتحطيم أقال الاعتقال التعسفي. مشى مغنية بين الناس. لم يعرفه أحد، حمل طفولته ومرحلة التدريب الأولى ونقل مسؤولية القيادة على عاتقه وسار نحو الحدود الفلسطينية، ليحقق أمنيته بالوصول إلى مشارف فلسطين

«قاف»... وجه المقاومة الثقافي

تعمل جمعية «قاف» الثقافية على جمع ذاكرة الشهيد عماد مغنية من خلال التواصل مع الناس الذين عاشوه، أقرباءه، أصدقائه، رفاق النضال. ويعتبر القيمين عليها أن مغنية هو ابن قضية إنسانية عالمية عنوانها «الدفاع عن المستضعفين»، لا يحده مذهب أو عرق أو دين.

بعد الكتاب المصوّر الأول الذي أرخت فيه لمحات من حياة الشهيد، أنجزت الجمعية فيلماً وثائقياً مدته عشر دقائق يتناول علاقة الشهيد عماد بفلسطين سيتم عرضه هذا المساء خلال برنامج «بانوراما اليوم» مع الزميلة منار صباغ، إضافة إلى إعلانات مرتبطة بالحملات الإعلامية التي تحيي ذكراه. كما إن الجمعية طبعت مفكرة تحمل اسمه، أُرخت لجميع الانتصارات التي حصلت على مستوى العالم العربي، وأعدت تعريف الأحداث والإنجازات الدائرة في فلك الصراع العربي - الصهيوني. وطبعت أيضاً كتاباً يضمّ مختارات من كلمات الإمام الخامنّي عن الشهيد والشهادة، وهو هدية إيرانية.

وقد تم تصوير كليب أبطاله أطفال بعمر ثمان سنوات، وذلك كان مقصوداً. إذ إن هؤلاء الأطفال سيؤدون نشيداً بعنوان «ما هذا الذي فوق الجبل»، هو لا يتوجّه إلى الشهيد عماد مغنية بشكل مباشر، إنما يشير إلى المقاوم الذي عمل بصمت لأجل هؤلاء الأطفال.

كما إن الجمعية أطلقت الموقع الإلكتروني الرسمي للقائد عماد مغنية. ويشكل الموقع مرجعاً توثيقياً يضمّ بعضاً من سيرته الذاتية وبعضاً من صورته وآثاره الشخصية. يعتبر الموقع مرجعاً توثيقياً للإطلاع على المواد الخاصة بالشهيد عماد والتي أنتجت عنه في المجالين الإعلامي والفني.

يذكر أن عمر الجمعية من عمر الإصدار الأول لها، أي سنة واحدة. وفي جعبتها الغزير من الأفكار والمشاريع المرتبطة بالمقاومة، تحمل بصمة عماد المقاومة، وتنتقل إلى فضاء رحب، حيث يصبح الرمز مرجعاً للساعين إلى حرّية الفكر والمعتقد على امتداد المساحة الكونية.

